خلفيات التمرد الجديد في غرب السودان..؟؟

14-4-2003

ومنطقة (دار فور) بالذات ودون مناطق السودان الأخرى ظلت على الدوام تقدم الشكاوى والتحذيرات للحكومة الاتحادية في الخرطوم لإيقاف نزيف الدماء, ولإنهاء التجاوزات الحكومية سواء في المال العام أو في استخدام القوة لغير ما خصصت له في ذلك الوقت، تعج الخرطوم بخلافات الحاكمين التي أصبحت غير خافية على أحد بل تتناقلها الديوانيات هنا وهناك، وفي هذا الوقت اجتهد أبناء دار فور المتواجدين في العواصم الولائية

بقلم خالد أبو أحمد

* في الوقت الذي ينتظر فيه الناس بفارق الصبر سماع أخبار جديدة عما تتمخض عنه المفاوضات الجارية بين وفدي الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان في إحدى المدن الكينية برعاية أمريكية بريطانية، تفاجأ الرأي العام العربي والعالمي ببيان آخر يعلن ميلاد (جون قرنق) جديد وإن اختلفت المسميات والأهداف والطريقة التي أعلنت بها عن طبيعة الميلاد، فإن البيان الصادر من حزب العدالة والمساواة يؤكد أنه قد احتل (عسكريا) مدينة (جبل مرة) أشهر وأجمل المناطق في القارة الأفريقية إن لم نقل في العالم قاطبة لما حباها الله من طبيعة خلابة وهي المنطقة الوحيدة في هذا الجزء من القارة الإفريقية التي تمتاز بطقس البحر الأبيض المتوسط, و(جبل مرة) حيث تتمركز فيها القوة المتمردة تمتد داخل ولايات دار فور الثلاث وهو عبارة عن سلسلة جبلية يبلغ ارتفاعها حوالي 1300 قدم فوق سطح الأرض وتتخلله عدد من منابع المياه.

دار فور بولاياتها الثلاث تغطي الجزء الغربي من السودان وتمثل مساحتها (خمس) 1/5 من مساحة السودان حيث تبلغ مساحاتها الكلية 549 ألف كيلومتر مربع وتعادل مساحتها مساحة فرنسا, أرض بكر صالحة للزراعة, أما تعداد سكانها حسب آخر إحصائية سنة 1999 قد بلغ أكثر من أربعة ملايين.

* تقع ولايات دار فور في أقاصي غرب السودان بين خطوط طول 22 و 27 شرقا وخطوط العرض 10 و 16 شمالا, ولايات دار فور تشارك الحدود السياسية كل من ليبيا، تشاد وأفريقيا الوسطي. وتقول بعض الكتابات التاريخية أن (دار فور) كانت دولة مستقلة ذات سيادة خلال الفترة من 1650م وحتى 1917م وكانت تسمي نفسها (سلطنة دار فور) ومنذ العام 1917م وحتى ما بعد استقلال السودان عن بريطانيا لم تشهد دار فور سوى محاولات ضئيلة لتنميتها اقتصاديا ولقد ساهمت الحكومات السودانية المتعاقبة في الربط الدائم للمنطقة بالنزاعات والجفاف والمجاعات والجهل والأمية المتفشية بين الناس ولم يكن التخلف الاقتصادي وحده الذي لعب الدور في ما آلت إليه الأمور وإنما على المستوي السياسي والثقافي بسبب تجاهل الحكومات المركزية السودانية للمنطقة أهلها حتى تم عزل دار فور عن باقي مناطق السودان, وقد تأثرت

هذه المنطقة بالتقلبات السياسية السودانية والتي بدورها ساهمت في هذه العزلة، علاوة على تطبيق سياسات خاطئة غير مدروسة من قبل الحكام الذين حكموا السودان, وفي الفترة الأولي للحكم الوطني ما بعد الاستقلال ظلت المنطقة تئن تحت وطأة التجاهل التام من قبل القائمين على أمر البلاد, إذ كان الصراع السياسي على السلطة هو السمة البارزة للحكومات السودانية، بمعنى أن الحكومات كانت تقبع في الخرطوم العاصمة وتتصارع وتصل أحيانا إلى حالات عصيبة فيما بينها, وكما يقول المراقبون للأحداث في السودان، إنه كلما زادت حدة الصراع السياسي كان مدعاة للعسكريين أن يطيحوا بالنظام .. وبسبب الصراع بين الأحزاب الكبيرة في البلاد لم تتغير الأحوال في مناطق السودان المختلفة ومن بينها دار فور، رغم أن المنطقة معروفة بتربتها الزراعية والتي أصبحت يوما ما من أكبر مناطق تصدير سلعة (الصمغ العربي) لأسواق العالم قاطبة.

* في عهد الرئيس جعفر محمد نميري وفي العام 1982م طبق نظام الحكومات الإقليمية على مناطق السودان والذي أدى إلى تكريس التخلف الاقتصادي في المنطقة وجعل العزلة السياسية والثقافية النسبية في السودان واقعا ملموسا, و منذ زوال نظام الرئيس جعفر نميري وحتى انقلاب الإسلاميين بقيادة عمر البشير في يونيو 1989م شهدت المنطقة الدار فورية قمة الفوضى السياسية والأمنية ولعبت فيها الأحزاب السياسية السودانية الدور الكبير في إراقة الدماء بين أبناء المنطقة من خلال ما تملكه من أدوات الصراع السياسي والاستفادة من المنطقة في تكبير(كوم) الأحزاب حتى تتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور في السودان، وهذه الفترة كذلك أكثر الفترات التي شهدت تدخلات من خارج الحدود السودانية للمجموعات المسلحة في دول الجوار التي استغلت الغياب الامني والعسكري لتتخذ من دار فور ميدان لصراعاتها المسلحة التي تلعب فيها التوجهات القبلية المشتركة بين البلدين العامل المهم.

حركة التمرد الجديدة,,..!!

* من خلال ما أعلنته الحركة الجديدة عبر قائدها أنها لا تسعى لانفصال (دار فور) عن بقية أرجاء السودان مشدداً على أنها حركات وحدوية تعمل للتكامل مع الحركات الأخرى الموجودة في جنوب السودان وجبال النوبة وشرق البلاد والأحزاب والمنظمات السياسية في الوسط والشمال، كما أعلن أيضا زعيم حركة التمرد في دار فور والتي سيطرت على (جبل مرة) أن حركته ليست انفصالية وأن كل ما تطالب به هو توزيع عادل للسلطات.

في تصريح لصحيفة (الحياة) قال خليل إبراهيم رئيس "حركة العدل والمساواة السودانية" أن :" حركتنا ليست انفصالية نطالب فقط بتوزيع عادل للسلطات والثروات". وأضاف "ليست لدينا مشكلة دين فنحن مسلمون وليست لدينا مشكلة هوية ولا قضية عنصرية، قضيتنا هي قسمة السلطة والثروة بعدالة ومساواة". وتابع، " إن أقاليم السودان كلها متضررة فمنذ الاستقلال حكم السودان 12 رئيسا جميعهم من الإقليم الشمالي ولم يرأس السودان أي شخص من دار فور أو الشرق أو الجنوب". وفي أكثر من حديث له أكد زعيم التمرد الجديد أن الحرب ستستمر حتى تحصل أقاليم السودان على حقوقها مضيفا لدينا شعور عميق بالتهميش والاضطهاد الاجتماعي

والظلم السياسي والابتزاز الاقتصادي، و حول علاقته بالحركة الشعبية لتحرير السودان بزعامة المتمرد جون قرنق، أجاب "نتحدث عن الظلم الواقع على غالبية أبناء السودان وهناك تنسيق ونتفق معهم على أن في البلد ظلم واستعمار ونتفق معهم على الوحدة ولكن إذا اتجهوا إلى الانفصال فهذا ليس خطنا"!!.

والمتابع للأحدث في السودان في الآونة الأخيرة يجد أن كل الإرهاصات والدلائل تشير أن الحكومة السودانية وبرغم ما يصدر عنها من أخبار ومن أفكار تحاول عبرها أن تقول أن الأوضاع بعد استخراج البترول وتصديره في طريقها للأحسن وللأفضل كما تصور ذلك الأقلام الحكومية والأجهزة الرسمية إلا أن الحقيقة الواضحة كالشمس تقول بغير ذلك وقد صدرت احدي التقارير الدولية مؤخرا أشارت فيه إلي أن الحكومة السودانية تنتهك الحريات الصحفية بعد أن أغلقت السلطات الأمنية هناك احدي الصحف(صحيفة الوطن) دون أي مسوغ قانوني أو قضائي بل بقرار من شخص واحد فقط حتى لم يصدر من مؤسسات الحزب الحاكم.

ومنطقة (دار فور) بالذات ودون مناطق السودان الأخرى ظلت على الدوام تقدم الشكاوى والتحذيرات للحكومة الاتحادية في الخرطوم لإيقاف نزيف الدماء, ولإنهاء التجاوزات الحكومية سواء في المال العام أو في استخدام القوة لغير ما خصصت له في ذلك الوقت، تعج الخرطوم بخلافات الحاكمين التي أصبحت غير خافية على أحد بل تتناقلها الديوانيات هنا وهناك، وفي هذا الوقت اجتهد أبناء دار فور المتواجدين في العواصم الولائية وولاية الخرطوم بشكل خاص بعقد الاجتماعات في الهواء الطلق حتى يبينوا لأهلهم ما يجري في مناطقهم وكانوا من فترة لأخرى يقابلون المسؤولين الاتحاديين ليشرحوا قضيتهم, ولا يجدوا إلا الوعود وأحيانا الزيارات عديمة الجدوى والتي تزيد الطين بله..

لماذا دار فور ..؟؟!!

* دار فور تلك البقعة العظيمة من السودان، والتي كانت تصنع يوما ما كسوة الكعبة المشرفة وترسلها من أقاصي غربي السودان إلى مكة المكرمة وهي مزينة بأجمل وأغلى أنواع القماش السوداني الأصيل وأروع ما صنعته أيادي السودانيين في ذلك التاريخ, هذه المنطقة -دار فور- عانت كثيرا . الدولة قد بذلت الجهد الأكبر في إعادة القبلية وتعطيل المؤسسات المدنية بجانب إعطاء المشروعية والمسؤولية للقبيلة بدار فور، وأوكلت إليها المهام الإدارية والأمنية وباركت تحت إشرافها تسابق القبائل في تجميع شتاتها استعدادا للمناطحة في الحق على الأرض والمكتسبات السياسية وحماية ذاتها من أخطار الأخريات. وقد انتظمت هذه القبائل في مؤسسات عرقية بتشجيع السلطة وإشرافها, فأسست أماناتها المتخصصة وهيآتها الاستشارية وتنظيماتها التي أوجدت لها التمويل واستقطبت لها الاشتراكات وإلى جوارها مضت الدولة في تقليص دور المؤسسات المدنية وتشريد كفاءاتها. وقامت بإعادة تقسيم وترسيم الأرض لحساب القبائل ولم تحترم في ذلك خصوصيات الإدارة (الأهلية) بدار فور والمتعارف عليها منذ استقلال السودان. وإن أكثر ما تعاني منه ولايات دار فور النقص الحاد في خدمات التنمية وأدوات التعليم والصحة في حالة احتضار تام.